٢

القدوة في القرآن الكريم
تعريفها، أهميتها، أنواعها

أ.د. محمد إبراهيم السامرائي
جامعة تكريت
كلية العلوم الإسلامية

أ. م. د. محمد حسين عبد الله
جامعة السليمانية
قسم الدراسات الإسلامية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: فإنَّ موضوع القدوة هو صناعة المؤمن المحب لدينه العامل الذي ينبغي بعمله وجه الله ورضوانه، ولكي يكون هكذا لا بد أن يأتمر بأمر الله، وتوجيهه في الاقتداء بالنبي r وسيرته العطرة؛ ليحفظ عمله ونفسه من الزلل والخلل؛ لأنّه من كان خلقه القرآن لخليق أن يتخذ سراجاً ينير طريقه، كما أنا طريق السّالكين من قبله، فاختصرنا في كتابة هذه الورقات لنوضح التعريف، وأهمية، ومن هو القدوة، وما هي صفاته، ومقوماته، وما تمثل القدوة في القرآن الكريم.

Introduction

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon Muhammad, may Allah bless him and his family and companions

The role model of the believer who loves religion. The worker Who Seeks to do the work of God and his satisfaction or be so must follow the command peace be upon him and guide him and his biography fragrant.

To keep his own work of slippage and defect beacons it was created koran.

it is worthy to take a lamp that illuminates it way as the path of the passersby lit by him.

We summarized in these papers to clarify the definition and importance and who is the example and what are the qualities and ingredients and what exemplifies the example in the koran my benefit him, And praise God the worlds.

خطة البحث: قسمت البحث على المحاور الآتية.

١ - المقدمة.

٢ - تعريف القدوة لغة واصطلاحاً.

٣ - أنواع القدوة.

٤ - صفات القدوة.

٥ - مقومات القدوة.

٦ - أسباب غياب القدوة.

٧ - مفهوم القدوة.

٨ - في حق من القدوة.

٩ - الخاتمة، تضمنت أهم النتائج لهذا البحث.

١٠ - قائمة المصادر والمراجع.

والله أسأل أن ينفع به، وأن يجعلنا مقتدين باثر النبي ﷺ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أولاً: القدوة لغة واصطلاحاً:

ذكر اللغويون تعريفات كثيرة لمعنى القدوة، نذكر هنا أهم هذه التعريفات:

قال الهروي: (القدوة: التقدُّم. وَيُقَال: فلَان لَا يُقاديه أحدٌ وَلَا يُياديه وَلَا يُباريه وَلَا يُجاريه أحدٌ، وَذَلِكَ إِذا بَرَزَ فِي الْخِلال كلِّها)[١].

وقال الجوهري: (القدوة: الإسوة. يقال: فلانٌ قِدْوَةٌ يُقْتَدى به. وقد يضمّ فيقال: لى بك قُدوة، وقدوة، وقدة)[٢]. وهذا بمعنى الاقتداء، أي: اقتديت به[٣].

وقال الفيومي: (اسْمٌ مِنْ اقْتَدَى بِهِ إِذَا فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ تَأَسِّيًا، وَفُلَانٌ قُدْوَةٌ أَيْ يُقْتَدَى بِهِ وَالضَّمُّ أَكْثَرُ مِنْ الْكَسْرِ)[٤]. وهذا الَّذِي يتشبه بِهِ غَيره فَيعْمل مثل مَا يعْمل بالمثل[٥].

وقال الفيروزآبادي: (ما تَسَنَّنْتَ به، واقْتَدَيْتَ به. وتَقَدَّتْ به دابَّتُه: لَزِمَتْ سَنَنَ الطَّريقِ، وتَقَدَّى هو عليها)[٦].

وقال المناوي: (القدوة: بالكسر والضم: الاقتداء بالغير ومتابعته والتأسي به)[٧].

وعرفت أيضاً بأنها: طلب موافقة الغير في فعله[٨].

ومثالٌ صالح للتشبُّه به[٩].

ومن يتّخذه الناسُ مثلاً في حياتهم لي بك قدوة- قدوتي في الحياة معلِّمي[١٠].

أما تعريفها اصطلاحاً: وهي ما عرّفها أبو الحسن الندوي بقوله: (القدوة: هي نموذج مثالي واقعي يجمع بين الإيمان والاعتقاد، وبين الوعي والرشد والنضج، ويقوم على الحب والطاعة والوضوح يقتدى به الفرد

(١) تهذيب اللغة: ٩/ ١٩٢.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦/ ٢٤٥٩.

(٣) ينظر: المخصص لابن سيده: ٣/ ٣٧٩؛ والمعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين: ٢/ ٧٢١، باب القاف.

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٢/ ٤٩٤.

(٥) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين: ٢/ ٧٢١.

(٦) القاموس المحيط: ١٣٢٣.

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف: ٢٦٩.

(٨) المعجم الاشتقاقي المؤصل: ٤/ ١٧٤٢.

(٩) معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار: ١/ ٩٧.

(١٠) المصدر نفسه: ٣/ ١٧٨٦.

أو الجماعة قولاً وعملاً)[1].

إن الملاحظ على تعريف الندوي أنه تعريف جامع لكل معاني القدوة التي تصلح للمسلم وغير المسلم؛ لأنه الممكن تطبيقه في كل المجتمعات.

خلاصة القول في تعريف القدوة: إن كل تعريف للقدوة يجب أن يؤخذ من منظور إسلامي يصلح للمجتمع الإسلامي؛ بحيث يكون القدوة هو الرسول ﷺ، ولا شكّ فيه أن القدوة الكاملة متمثلة في شخصية النبي ﷺ.

ثانياً: أنواع القدوة:

أ- القدوة الحسنة: من المعلوم أن القدوة الحسنة هي الركيزة الأساسية والعنصر المهم في المجتمع، وتشتدُّ الحاجة إلى القدوة الحسنة كلَّما بَعُد الناس عن الالتزام بقِيَم الإسلام وأخلاقه وأحكامه ودين الإسلام دين القدوة، وأصحاب الهِمم العالية هم الذين يسعون ليكونوا قدوة حسنة، وأعظم قدوة في الإسلام هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعلى رأسهم نبيُّنا محمد ﷺ؛ ولذلك جعَله الله لنا أُسوة وقدوة، بل أمرنا بذلك، فقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

فالقُدوة الحسنة هي المحرِّك والدافع للإنسان للارتقاء بالذات، فمَن جعَل له قدوة عظيمة في صفاته، فلا بدَّ أن يتأسى به في كلِّ صفاته، فالقدوة المؤثرة مثال حي للارتقاء في درجات الكمال، فهو دائمًا يطلب الكمال ويطلب المعالي، فهو بذلك مثارٌ للإعجاب والتقليد من الناس؛ لأن التأثُّر بالأفعال والسلوك أبلغُ وأكثر من التأثر بالكلام والأقوال، وهذا ما أكَّده سيِّد قطب بقوله: (كانت سيرة النبي ﷺ وحياته الواقعيَّة- بكلِّ ما فيها؛ من تجارب الإنسان، ومحاولات الإنسان، وضَعف الإنسان، وقوة الإنسان- مختلطة بحقيقة الدعوة السماوية، مُرتقية بها خُطوة خطوة؛ كما يبدو في سيرة أهله وأقرب الناس إليه، فكانت هي النموذج العملي للمحاولة الناجحة، يراها ويتأثر بها مَن يريد القدوة الميسرة، العملية الواقعيَّة، التي لا تعيش في هالات ولا في خيالات)[3].

فالقدوة الحسنة نموذج إنساني حيٌّ، يعيش ممثِّلاً ومُطبِّقًا لذلك المنهج الرباني الذي جاء به القرآن، فالأنبياء هم أوّل من يمثلون القدوة الحسنة، ولقد أورد القرآن الكريم آيات تدل على اهتمام شخصية القدوة الناجحة بإبراز صفاته الخلقية وتأثيرها بالمجتمع التي جعل من شخصيتهم نموذجا سامياً من التضحية والفداء، وكان من هؤلاء القدوة نبي الله إبراهيم u لأن الله U امتدَحه وأثنى عليه في هذه الصفة، فكان قدوة يُقتدى به؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ

(١) بعض سمات الدعوة المطلوبة في هذا العصر: ١٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) في ظلال القرآن: ٧/ ٢٥٣.

﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[1].

قال الإمام ابن كثير: (فقام بجميع الأوامر وترَك جميع النواهي، وبلَّغ الرسالة على التمام والكمال، ما يستحق بهذا أن يكون للناس إمامًا يُقتدى به في جميع أحواله وأفعاله وأقواله)[2].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[3].

الأسوة الحسنة، تعني هنا القدوة الحسنة التي يتأسى بها ويقتدى بها. قال ابن كثير بعد هذه الآية: (أي: لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه. وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم، ويقولون: إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه، فأنزل الله، عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[4])[5].

وغير هذه من الآيات التي بيّنت شخصية نبي الله إبراهيم القدوة، فإنه كان أبا الأنبياء، ولسان صدق في الآخرين، وقد برزت فيه معنى القدوة في صورتها الكريمة وحقيقتها المؤثرة، فهو مثلا في الإيمان الصادق، وقدوة للأجيال المؤمنة قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[6].

وهكذا بقية الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ إذ جعل الله تبارك وتعالى نماذج القدوة الحسنة في أنبيائه ورسله عامة، وخص نبي الله إبراهيم والذين معه، كما مر في الآية الكريمة، وجعل خاتمهم وإمامهم نبينا الكريم محمد ﷺ، خير أسوة وأعظم قدوة يهتدي بها البشر في كل زمان ومكان، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[7].

قال الشيخ سعيد حوى: (فشخصية الرسول ﷺ تمثلت فيها كل جوانب الحياة، وما كلّ رسول كان له مثل هذا، فالرسول عليه الصلاة والسلام كان أباً، وما كل رسول كان أباً، وكان زوجاً وما كل رسول تزوج، وكان رئيس دولة ومؤسسها، وما كل رسول أقام دولة، وكان القائد الأعلى لجيش

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٤٦٣.
(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٤.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٣.
(٥) تفسير القرآن العظيم: ٨/ ٨٧.
(٦) سورة النحل، الآية: ١٢٠.
(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

الإسلام والمحارب الفذ وما كل رسول حارب، وبعث للإنسانية عامة فشرع لها بأمر الله ما يلزمها في كل جوانب حياتها العقدية والعبادية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية، ولم يبعث رسول قط إلى الإنسانية عامة غيره، وكان المستشار والقاضي والمربي والمعلم والمهذب والعابد والزاهد والصابر والرحيم...، إلى آخر صفاته- عليه الصلاة والسلام- التي استوعبت كل جوانب الحياة، وإنما كان ذلك؛ لأن الله جلت حكمته جعل الإسلام المنزل على محمد ﷺ نظاماً شاملاً لجوانب حياة البشر كلها، وجعل حياة رسوله نموذجاً لدينه كله في كل جوانبه، حتى تقوم الحجة على الناس مرتين، مرة بالبيان النظري، ومرة بالبيان العملي)[1].

وهكذا من بعد النبي ﷺ سار أصحابه الكرام y، والتابعين وأتباع التابعين ومن بعدهم على منهجه مقتدين بما رسمه لهم ﷺ من منهج أنار لهم طريقهم مقتدين ومتأسين بهذا النبي العظيم ﷺ.

ب- القدوة السيئة: يفهم من تعريف المناوي للقدوة الحسنة السابق أن بخلافه القدوة السيئة هو الاقتداء بأهل الباطل ومتابعتهم والتأسي بهم في فعل السيئات وترك الحسنات[2].

وإن من يقتدى بشخص ويتخذه إماماً له فلا شك أنه يحبه ويتمنى أن يصير مثله، ويؤدي الاقتداء بأهل الباطل إلى محبتهم والدفاع عن سيئاتهم وشرورهم، والابتعاد عن الصالحين، ويدفع هذا بصاحبه إلى ارتكاب كبيرة نص عليها الأئمة، يقول ابن حجر الهيتمي: (الكبيرة الرابعة والخمسون والخمسون: محبة الظلمة أو الفسقة بأيّ نوع كان فسقُهم وبغض الصالحين)[3]، وعدَّ هذا من الكبائر على ما دلت عليه الأحاديث.

والقرآن الكريم ذكر نماذجاً من هذه القدوة السيئة، منها فرعون في الطغيان والتأله، وقارون في الكبر والبغي، وإن النفس البشرية المؤمنة تنفر عن هكذا قدوة تحمل الشر وتتسم بالعيوب والبطش.

وكل أسوة بغير النبي ﷺ فهي أسوة سيئة، كقول المشركين حين دعتهم الرسل للتأسي بهم، قالوا: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[4]. فحل عليها عذابُ الله وسخَطُه بالآباء والأجداد، ولم يكن هؤلاء قدوة حسنة في انحرافهم عن الصواب والتوحيد، ومع هذا اتبعهم أبناؤهم وأحفادُهم، فكانت نتيجة اقتدائهم بهم الهلاك[5].

ثالثاً: صفات القدوة:

للقدوة صفات ذكرها المفسرون في تفسيرهم، يمكن أن نجمل أهمها:-

١ - أن يكون صالحاً ذات أخلاق حسنة وكرم: قال

(١) الرسول ﷺ: ١٢٧.

(٢) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي: ٢٦٩.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر: ١/ ١٨٤.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٢٢. وينظر: الخلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة لسعيد بن علي ابن وهف القحطاني: ٤٦.

(٥) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٤/ ٧٥.

ابن عباس: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، أي: سنة صالحة[1].

قال الماتريدي: (التأسي برسول الله الاقتداء والقدوة به، فهو يخرج على وجوه: أحدها: أي: لقد كان لكم في رسول الله قبل أن يبعث رسولا، وقبل أن يوحى إليه فيما عرفتموه من حسن خلقه وكرمه وشرفه وأمانته- أسوة حسنة؛ فكيف تركتم اتباعه إذا بعث رسولا؟!.

والثاني: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾، أي: صار لكم ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ إذا بعث رسولاً ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: فيما أنزل إليه وأوحي إليه، وفيما شاهدتموه من حسن خلقه وكرمه؛ فالواجب عليكم أن تتاسوا به. والثالث: لقد كان لكم بالمؤمنين أسوة استوائهم لو اتبعتم ما شرع لكم رسول الله وسن)[2].

٢ - أن يتحلى بالصبر: قال ابن الجوزي: (لقد كان لكم به اقتداءٌ لو اقتديتم به في الصبر معه كما صبر يوم أُحُد حتى كسرت رباعيّته وشجّ جبينه وقتل عمّه، وواساكم مع ذلك بنفسه)[3].

٣ - النصر لله ولدينه: قال الخازن: (اقتدوا به اقتداء حسنا وهو أن تنصروا دين الله وتؤازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم)[4].

٤ - الوفاء للدين: قال الخازن: (قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه، وقيل قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر وأحد وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين إما الشهادة أو النصر على الأعداء وَما بَدَّلُوا يعني عهدهم تَبْدِيلًا)[5].

٥ - الخوف من الله تعالى: (لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، أي: إن هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة وَمَنْ يَتَوَلَّ أي يعرض عن الإيمان ويوالي الكفار فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ أي عن خلقه الْحَمِيدُ أي إلى أهل طاعته وأوليائه)[6].

٦ - الصدق: على المؤمن أن يلتزم بالصدق في جميع أقواله وأفعاله؛ إذ قال النبي ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا»[7]، وهذه أسمى غايات يحصلها المؤمن، وقد أمرنا الله تعالى بالصدق؛ إذ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[8].

قال السمرقندي: (مَعَ الصَّادِقِينَ في إيمانهم، يعني: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً رضوان الله عليهم أجمعين)[9].

٧ - العدل: وهو أساس الملك كما يقال، وهو إعطاء كل ذي حق حقه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي: ٨/ ٣٦٨.
(٢) المصدر نفسه: ٨/ ٣٦٨.
(٣) زاد المسير في علم التفسير: ٣/ ٤٥٥.
(٤) لباب التأويل: ٣/ ٤١٨.
(٥) المصدر نفسه: ٣/ ٤١٩.
(٦) المصدر نفسه: ٤/ ٢٨١.
(٧) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩] وَمَا يُنْهَى عَنِ الكَذِبِ: ٨/ ٢٥، برقم (٦٠٩٤).
(٨) سورة التوبة، الآية: ١١٩.
(٩) بحر العلوم: ٢/ ٩٧.

وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾[1]، قال الواحدي: (العدل: شهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان: أداء الفرائض...، وفي رواية: العدل: التوحيد، والإحسان: الإخلاص فيه، وقال آخرون: يعني بالعدل: في الأفعال، والإحسان: في الأقوال، ولا يفعل إلا ما هو عدل ولا يقول إلا ما هو حسن)[2]. وقال ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ»[3].

رابعاً: مقومات القدوة:

هناك عدة مقومات يجب توفرها في القدوة الناجح، ويمكن أن نستخلصها في النقاط التالية:-

١ - الاخلاص في العمل لله تعالى.

٢ - الاستقامة.

٣ - حسن الخلق.

٤ - الوسطية والاعتدال في جميع الأمور.

٥ - العبودية لله وحده.

٦ - الحياء.

٧ - الحلم والأناة.

٨ - الشجاعة.

٩ - الرفق.

١٠ - الرحمة.

خامساً: أسباب غياب القدوة:

من أهم أسباب غياب القدوة، هي:-

١ - الغفلة.

٢ - حب الدنيا.

٣ - البعد عن الله تعالى.

٤ - قلة الخوف من الله تعالى.

٥ - التأثر بغير المسلمين.

٦ - غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧ - الافتقار إلى الأخوة الصالحة.

سادساً: مفهوم القدوة:

احتج العلماء بأن رسول الله ﷺ أفضل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم، فكان نوح صاحب احتمال على أذى قومه، وكان إبراهيم صاحب كرم وبذل مجاهدة في الله ﷻ، وكان إسحاق ويعقوب من أصحاب الصبر على البلاء والمحن، وكان داود وسليمان عليهما السلام من أصحاب الشكر على النعمة، وكان أيوب صاحب صبر على البلاء، وكان يوسف قد جمع بين الصبر والشكر، وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة، وكان زكريا ويحيى وعيسى وإلياس من أصحاب الزهد في الدنيا، وكان إسماعيل صاحب صدق، وكان يونس صاحب تضرع وإخبات، ثم إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يقتدي بهم وجمع له جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم، فثبت بهذا البيان أنه ﷺ كان أفضل الأنبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال، والله أعلم[4].

(١) سورة النحل، من الآية: ٩٠.

(٢) التفسير البسيط: ١٣/ ١٧٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ: ١/ ١٣٣، برقم (٦٦٠).

(٤) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن: ٢/ ١٣٣.

سابعاً: هل القدوة تشمل الشرائع، وماذا يكون في حقنا:

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[1]. قال الرازي: (يبعد حمل هذه الآية على أمر الرسول ﷺ بمتابعة الأنبياء عليهم السلام المتقدمين في شرائعهم لوجوه:

أحدها: أن شرائعهم مختلفة متناقضة فلا يصح مع تناقضها أن يكون مأموراً بالاقتداء بهم في تلك الأحكام المتناقضة.

وثانيها: أن الهدى عبارة عن الدليل دون نفس العمل، وإذا ثبت هذا، فنقول: دليل ثبات شرعهم كان مخصوصاً بتلك الأوقات...، وكيف يستدل بذلك على اتباعهم في شرائعهم في كل الأوقات.

وثالثها: أن كونه عليه الصلاة والسلام متبعاً لهم في شرائعهم يوجب أن يكون منصبه أقل من منصبهم، وذلك باطل بالإجماع فثبت بهذه الوجوه أنه لا يمكن حمل هذه الآية على وجوب الاقتداء بهم في شرائعهم)[2].

وقال الفخر الرازي عند الكلام على الفاتحة: (أن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا عند الشروع في أعمال الخير يبتدئون بذكر بسم الله، فوجب أن يجب على رسولنا ﷺ ذلك وإذا ثبت هذا الوجوب في حق الرسول ﷺ ثبت أيضا في حقنا، وإذا ثبت...، أنه آية من سورة الفاتحة، ثم أنَّ نوحا u لما أراد ركوب السفينة قال: ﴿ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٖىهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ ﴾[3]، وأن سليمان لما كتب إلى بلقيس كتب بسم الله الرحمن الرحيم...، فثبت أن الأنبياء عليهم السلام كلما شرعوا في عمل من أعمال الخير ابتدؤا بذكر بسم الله الرحمن الرحيم...، ولهذا وجب على رسولنا ﷺ ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[4])[5].

وجاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[6]، وفيه مسائل لطيفة:

أحدها: أن الأوصاف السيئة التي رمي بها النبي ﷺ من كذب وجنون وأنه يعلمه بشر وغيرها، وما كان فيه من الخصال الحميدة والأفعال المرضية مقابل ذلك؛ إذ كانت ظاهرة منه، فمسامحتهم لهم وصبره عليهم وامتناعه من الرد، ولم يسمعوا منه إلا كل خير، فلا جرم أن الله وصفه بهذا الوصف، وإنما وصف خلقه بأنه عظيم، قال له: وذلك لأنه تعالى قال له: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[7]، وهذا الهدى الذي أمر الله تعالى محمداً ﷺ بالاقتداء به ليس هو معرفة تقليد معاذ الله، إذ كان المراد به أن يجمع بالاقتداء بهم بكل ما أختص به أحدهم، فكل واحد

(١) سورة الأنعام، من الآية: ٩٠.
(٢) مفاتيح الغيب: ١٣/ ٥٦.
(٣) سورة هود، من الآية: ٤١.
(٤) سورة الأنعام، من الآية: ٩٠.
(٥) مفاتيح الغيب: ١/ ١٧٦.
(٦) سورة القلم، الآية: ٤.
(٧) سورة الأنعام، من الآية: ٩٠.

منهم مختص بنوع، فكأنه أمر بمجموع ما كان متفرقاً فيهم، وهذا لعمري درجة عالية ميزه الله عليهم بها، لم تتيسر لأحد منهم قبله[1].

وثانيها: الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة، واعلم أن الإتيان بالأفعال الجميلة غير، وسهولة الإتيان بها غير، فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق، ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح، والبخل، والغضب، والتشديد في المعاملات، والتحبب إلى الناس بالقول والفعل، وترك التقاطع والهجران، والتساهل في العقود، كالبيع وغيره، والتسمح بما يلزم من حقوق من له نسب أو كان صهراً له وحصل له حق آخر[2].

ثامناً: الخاتمة:

بعد البحث في موضوع القدوة يمكننا أن نستخلص أهم النتائج التي تطرقنا إليها، وهي:-

١ - سلطنا الضوء على معنى القدوة.

٢ - القدوة بالنبي ﷺ هي فخر كل مؤمن.

٣ - القدوة ترشدنا إلى تعاليم ديننا كلها.

٤ - التمسك بصفات القائد الناصح الذي يحب الخير للجميع.

٥ - نبينا ﷺ كان خلقه القرآن.

٦ - المفهوم المتجدد أنه لا تصح القدوة بغير النبي ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٣٠/ ٦٠١؛ وروح البيان لإسماعيل حقي: ١٠/ ١٠٦.

(٢) ينظر: المصدران أنفسهما.

قائمة المصادر والمراجع

ما بعد القرآن الكريم.

١ - بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت٣٧٣ه)، حققه: د. محمود مطرجي، دار الفكر- بيروت، ط/ ١، (د ت).

٢ - بعض سمات الدعوة المطلوبة في هذا العصر، لأبي الحسن علي الحسني الندوي، بحث مقدم للقاء الخامس للندوة العالمية للشباب الإسلامي في كينيا، (١٤٠٢ه).

٣ - تأويلات أهل السنة: لمحمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي (ت٣٣٣ه)، حققه: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط/ ١، (١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م).

٤ - التفسير البسيط: لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت٤٦٨ه)، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض، ط/ ١، (١٤٣٠ه).

٥ - تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤ه)، حققه: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة- الرياض، ط/ ٢،

(١٤٢٠ه- ١٩٩٩م).

٦ - التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦ه)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط/ ٣، (١٤٢٠ه).

٧ - تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت٣٧٠ه)، حققه: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط/ ١، (٢٠٠١م).

٨ - التوقيف على مهمات التعاريف: لزين الدين محمد، المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١ه)، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، ط/ ١، (١٤١٠ه- ١٩٩٠م).

٩ - الخُلق الحسن في ضوء الكتاب والسنة: لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير- الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ط/ ١، (د ت).

١٠ - الرسول ﷺ: لسعيد حوى، القاهرة- مصر، (د ط، د ت).

١١ - روح البيان: لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتياً المولى أبي الفداء (ت١١٢٧ه)، دار الفكر- بيروت، (د ط، د ت).

١٢ - زاد المسير في علم التفسير: لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧ه)، حققه: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط/ ١، (١٤٢٢ه).

١٣ - الزواجر عن اقتراف الكبائر: لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبي العباس (ت٩٧٤ه)، دار الفكر- بيروت، ط/ ١، (١٤٠٧ه- ١٩٨٧م).

١٤ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣ه)، حققه: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط/ ٤، (١٤٠٧ه- ١٩٨٧م).

١٥ - صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦ه)، حققه: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة- بيروت، ط/ ٣، (١٤٠٧ه- ١٩٨٧م).

١٦ - في ظلال القرآن: لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت١٣٨٥ه)، دار الشروق- بيروت- القاهرة، ط/ ١٧، (١٤١٢ه).

١٧ - القاموس المحيط: لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧ه)، حققه: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- بيروت، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، لبنان، ط/ ٨، (١٤٢٦ه- ٢٠٠٥م).

١٨ - لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت٧٤١ه)، حققه: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط/ ١، (١٤١٥ه).

١٩ - المخصص: لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨ه)، حققه: خليل إبراهم جفال،

دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط/ ١، (١٤١٧ه- ١٩٩٦م).

٢٠ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ثم الحموي (ت: نحو ٧٧٠ه)، المكتبة العلمية- بيروت، (د ط، د ت).

٢١ - المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها): للدكتور محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب- القاهرة، ط/ ١، (٢٠١٠م).

٢٢ - معجم اللغة العربية المعاصرة: لأحمد مختار عبد الحميد عمر (ت١٤٢٤ه)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب- بيروت، ط/ ١، (١٤٢٩ه- ٢٠٠٨م).

٢٣ - المعجم الوسيط: اعداد: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، مجمع اللغة العربية- القاهرة، دار الدعوة- مصر، (د ط، د ت).